السنة النبوية وتحديات التربية الحديثة: نحو نموذج نبوي يعزز القيم في بيئة رقمية متسارعة

The Prophetic Year and the Challenges of Modern Education: Towards a Prophetic Model that Enhances Values in a Rapid Digital Environment

أعداد

م. فاتن عبد الجبار خلف

Faou8183@gmail.com

الجامعة العراقية– كلية الاعلام

M. Faten Abdul Jabbar Khalaf

الخلاصة

يشهد العالم المعاصر تحولات رقمية متسارعة أثّرت بشكل مباشر على النظم التربوية داخل الأسرة المسلمة . فقد أصبحت التكنولوجيا مصدرًا منافسًا في تشكيل وعي الأبناء، مما أدى إلى تحديات تربوية غير مسبوقة، من بينها ضعف المرجعية القيمية، وتراجع دور القدوة، وتأثير مشاهير المنصات الرقمية. يهدف هذا البحث إلى استكشاف فعالية المنهج النبوي في مواجهة هذه التحديات، من خلال تحليل أساليب النبي محمد صلى الله عليه وسلم في التربية، كالحوار، والرحمة، والقدوة العملية، والتدرج في التوجيه. كما يقترح البحث سبلاً لتفعيل القيم النبوية بلغة تناسب العصر، عبر أدوات رقمية وأساليب تواصل حديثة. وتوصلت الدراسة إلى أن التربية النبوية تُشكّل نموذجًا حيًا قادرًا على التفاعل مع التحولات الحديثة، إذا ما تم تقديمها بأسلوب معاصر ومراعٍ للفروق الفردية. ويوصي البحث بدمج التربية النبوية في البرامج التعليمية والمحتوى الرقمي الموجّه للأبناء، وتدريب الآباء والمربين على أساليبها.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية، التربية الحديثة، بيئة رقمية

Summary in English:

The modern world is undergoing rapid digital transformations that have significantly impacted the educational structure within Muslim families. Technology has became a powerful influence on children's awareness and behavior, presenting unprecedented challenges such as weakened value systems, diminished parental role models, and the growing impact of digital celebrities. This study explores the effectiveness of the Prophet Muhammad's (peace be upon him) educational approach in addressing these modern challenges. It analyzes key prophetic methods such as dialogue, compassion, practical role modeling, and gradual guidance. The research proposes ways to reintroduce prophetic values using contemporary language and modern digital tools. Findings indicate that the Prophetic educational model remains highly applicable and adaptable when framed appropriately for today's context. The study recommends integrating prophetic teachings into educational programs and digital content aimed at children and youth, as well as training parents and educators in applying these methods effectively.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

تُعد التربية محورًا أساسيًا في بناء الفرد والمجتمع، ولا تزال منظومات التربية الحديثة تواجه تحديات متزايدة في ظل التحولات الرقمية المتسارعة التي غيّرت أنماط التفكير والسلوك، وأثّرت على منظومة القيم لدى الأجيال الناشئة. وفي خضم هذه المتغيرات، تبرز الحاجة الماسّة إلى استلهام نماذج تربوية أصيلة، تجمع بين الثبات القيمي والمرونة التربوية، وهو ما تجسده السنة النبوية المطهرة بوصفها مصدرًا تشريعيًا وتربويًا غنيًا بالتوجيهات التي تراعي الطبيعة البشرية وتستجيب لحاجاتها في مختلف العصور.

ولقد قدم النبي محمد صلى الله عليه وسلم نموذجًا فريدًا في التربية، اتسم بالحكمة، والرحمة، والاتزان بين المبدأ والتدرج، مما يجعل من سيرته مصدرًا حيًّا قابلاً للتفعيل في معالجة تحديات التربية الحديثة، لا سيما تلك المرتبطة بالهوية والانتماء والانفتاح غير المنضبط على الفضاءات الرقمية. إن دراسة السنة النبوية من منظور تربوي معاصر لا يُعد ترفًا علميًا، بل ضرورةً منهجية تُمكننا من صياغة نموذج قيمي فاعل يواكب متطلبات العصر دون أن يُفرّط في ثوابت الأمة.

وانطلاقًا من هذه الرؤية، يسعى هذا البحث إلى الوقوف على أبرز التحديات التي تفرضها البيئة الرقمية على العملية التربوية، واستجلاء المعالم التربوية في السنة النبوية التي يمكن أن تسهم في بناء نموذج تربوي يعزز القيم ويصون الهوية في عصر متسارع التحول.

حيث تتمثل المشكلة التي يتناولها هذا البحث

كون ان المجتمعات المعاصرة تشهد تحولات سريعة بفعل الثورة الرقمية التي طالت مختلف جوانب الحياة، وأثّرت بشكل مباشر على البنية التربوية، مما أدى إلى تراجع حضور القيم الأصيلة، وتنامي أنماط من السلوك غير المنضبط، لا سيما بين فئة الناشئة. وفي ظل هذه التحديات، تواجه التربية الحديثة أزمة في صياغة نموذج تربوي متوازن يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويعزز من ثبات القيم في بيئة تتسم بالتغير السريع والانفتاح اللامحدود. ومن هنا تنبع الإشكالية المتمثلة في السؤال الآتي:

كيف يمكن استثمار القيم التربوية في السنة النبوية لبناء نموذج تربوي يعالج تحديات التربية الحديثة، ويُعزز القيم في ظل البيئة الرقمية المتسارعة؟

وتكمن أهمية هذا البحث

في كونه يسعى إلى الربط بين ميدانين حيويين: السنة النبوية بوصفها مصدرًا غنيًا بالقيم والمبادئ التربوية، والتربية الحديثة التي تواجه تحديات غير مسبوقة في ظل الواقع الرقمي المتسارع. كما تتجلى أهمية البحث في إبراز قدرة النموذج النبوي على تقديم حلول تربوية واقعية تتسم بالثبات والقابلية للتطبيق في بيئات متغيرة، خاصة في ظل تراجع التأثير التربوي التقليدي أمام الوسائط الرقمية الجديدة. ويأمل هذا البحث في أن يسهم في إثراء الدراسات التربوية الإسلامية من خلال تقديم تصور معاصر يعيد الاعتبار للقيم النبوية كأداة فاعلة في ترسيخ الهوية، وضبط السلوك، والتفاعل الواعي مع تحديات العصر.

فكانت منهجية هذا البحث

في اعتماد المنهج التحليلي الاستنباطي بوصفه الأنسب لطبيعة الموضوع، حيث تم تحليل نماذج من النصوص النبوية ذات البعد التربوي، واستخلاص ما تحمله من قيم وتوجيهات تصلح للتطبيق في الواقع التربوي المعاصر. كما استُعين بالمنهج الوصفي لفهم طبيعة التحديات التي تواجه التربية في ظل البيئة الرقمية الحديثة، وتوصيف أثر هذه التحديات على النشء والقيم التربوية. وقد تم الربط بين المنهجين من خلال دراسة مقارنة بين الأساليب التربوية النبوية والاتجاهات التربوية الحديثة، بهدف بناء نموذج تربوي يجمع بين أصالة المصدر ومرونة التطبيق، ويستجيب في الوقت ذاته لمتطلبات الواقع التربوي المعاصر.

نظرا لطبيعة البحث فقد تم تقسيمه الى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة

المبحث الأول: التحديات التربوية في العصر الرقمي

المبحث الثاني: معالم التربية النبوية للأبناء

المبحث الثالث: استثمار المنهج النبوي في مواجهة تحديات العصر

المبحث الأول: التحديات التربوية في العصر الرقمي

المطلب الأول: أثر التكنولوجيا على سلوك الأبناء

يشهد العصر الحديث ثورة تكنولوجية متسارعة تركت آثارًا مباشرة على شتى مجالات الحياة، ولا سيما على سلوك الأبناء. فقد أصبحت الأجهزة الذكية والألعاب الإلكترونية والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي جزءًا لا يتجزأ من يوميات الأطفال والمراهقين، مما أثار تساؤلات عديدة حول التأثيرات السلوكية المترتبة على هذا الاستخدام. ونهدف هنا إلى تسليط الضوء على أهم الآثار السلوكية لاستخدام التكنولوجيا من قبل الأبناء، سواء كانت إيجابية أو سلبية، مع تقديم رؤية تربوية مستندة إلى دراسات علمية وشرعية لمعالجة هذه الظاهرة.

أولاً: تعريف التكنولوجيا ودورها في الحياة اليومية

التكنولوجيا هي استخدام المعارف العلمية لتطوير أدوات تُستخدم في الحياة اليومية لتسهيل المهام وتوسيع الإدراك البشري. ومن أبرز تطبيقاتها في حياة الأبناء: الهواتف الذكية، الحواسيب، الإنترنت، الألعاب الإلكترونية، ومنصات التواصل الاجتماعي.

وتشير دراسات حديثة إلى أن الطفل يقضي ما بين ٤ إلى ٧ ساعات يوميًا أمام الشاشات، ما يعادل أكثر من ١٥٠٠ ساعة سنويًا، وهو رقم يفوق ما يقضيه في المدرسة[١].

ثانيًا: الآثار السلوكية الإيجابية للتكنولوجيا

رغم المخاوف المرتبطة بالتكنولوجيا، إلا أن لها جوانب إيجابية عديدة إذا أحسن استخدامها، ومنها:

١. تنمية المهارات المعرفية: بعض الألعاب الإلكترونية التعليمية تعزز التفكير المنطقي وحل المشكلات.

٢. سهولة الوصول إلى المعرفة: الإنترنت يمكّن الأطفال من الاطلاع على كم هائل من المعلومات التعليمية والدينية والثقافية.

٣. تعزيز التواصل الأسري: في بعض الحالات، تُستخدم التكنولوجيا كوسيلة لتعزيز الترابط من خلال التواصل بالفيديو أو الترفيه المشترك.

(١) انظر: تقرير مؤسسة Common Sense Media، ٢٠٢٢م.

ثالثًا: الآثار السلوكية السلبية للتكنولوجيا على الأبناء

١. الانعزال الاجتماعي: يُلاحظ أن كثيرًا من الأبناء يفضّلون التفاعل مع الأجهزة على التفاعل مع الآخرين، مما يؤدي إلى ضعف في مهارات التواصل الاجتماعي[١].

٢. السلوك العدواني: بعض الألعاب العنيفة قد تزرع في نفوس الأبناء سلوكيات عدوانية، تؤثر في تعاملهم مع الأسرة والأقران.

٣. التشتت الذهني وضعف التركيز: الاستخدام المفرط للأجهزة يقلل من فترات التركيز، ويضعف الأداء الدراسي.

٤. التمرد على السلطة الأبوية: تنقل بعض منصات التواصل قيمًا غير متوافقة مع ثقافتنا، مما يؤدي إلى صراع بين الأبناء وآبائهم.

رابعًا: البُعد الديني في توجيه السلوك التكنولوجي

لقد اهتمت السنة النبوية بتربية الأبناء تربية متكاملة تشمل الجوانب النفسية والاجتماعية، ويمكن استثمار هذا التوجيه في التعامل مع التكنولوجيا.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...»[٢]، وهذا الحديث يحمّل الوالدين مسؤولية الرقابة والتوجيه. كما أن التربية بالقيم، كالأمانة، وضبط النفس، واحترام الوقت، تمثل درعًا وقائيًا ضد الانحرافات السلوكية التي قد تنتج عن الاستخدام الخاطئ للتكنولوجيا.

خامسًا: توصيات تربوية لمعالجة الأثر السلبي

١. تحديد أوقات الاستخدام ووضع جدول زمني متوازن بين النشاطات الرقمية والحياتية.

٢. المراقبة الذكية من قبل الاباء للبرامج وكيفية الاستخدام الرقمي للابناء، بدلًا من المنع المطلق، مع الحوار والتوجيه المستمر.

٣. غرس القيم الإسلامية المرتبطة بالمسؤولية والاستخدام الإيجابي للتقنية.

٤. القدوة الأبوية: لا يمكن توجيه الأبناء ما لم يكن الآباء قدوة لهم في ضبط استخدامهم للتكنولوجيا.

كذلك فان التكنولوجيا أداة حيادية، لكن طريقة استخدامها هي التي تحدد أثرها في حياة الأبناء. ومن هنا تأتي أهمية دور الوالدين والمربين في توجيه الأبناء نحو الاستخدام الإيجابي، وتجنب الانزلاق إلى

(١) أحمد محمد جابر، «التكنولوجيا وتغير السلوك الاجتماعي لدى الأطفال»، مجلة التربية المعاصرة، العدد ٦٥، ص ٨٨.
(٢) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن.

سلوكيات سلبية قد تؤثر في مستقبلهم النفسي والاجتماعي والديني. كما أن الاستفادة من الهدي النبوي في التربية يمثل مرتكزًا مهمًا في مواجهة التحديات الرقمية.

المطلب الثاني: ضعف المرجعية القيمية في التربية الحديثة

منذ فجر التاريخ، كانت التربية وسيلة المجتمعات لترسيخ منظومة من القيم والمبادئ التي تُوجّه سلوك الفرد وتضبط علاقاته بالآخرين. ومع تطور المجتمعات الحديثة، خضعت العملية التربوية لتحولات كبيرة، أدت في كثير من الأحيان إلى تهميش المرجعيات القيمية، إما لصالح المنفعة والنجاح المادي، أو بسبب التبعية للنماذج الغربية التي تفصل بين القيم والدراسة الأكاديمية.

وفي ظل الانفتاح اللامحدود على الثقافات والأنماط الحياتية العالمية، يعاني الأبناء من حالة «سيولة قيمية»، حيث تتزاحم في أذهانهم القيم الدينية، والثقافية، والعلمانية، دون وجود ضبط تربوي يحكمها.

وقد بات واضحًا أن بعض الأسر فقدت مركزيتها كمرجعية قيمية، إما بسبب ضعف الوعي التربوي، أو بسبب انشغال الوالدين، أو نتيجة هيمنة القيم الرقمية المعولمة التي تُروّج للفردانية، والنسبية الأخلاقية، وتضخيم الذات[1] . لذا وجب توضيح النقاط والمفاهيم التالية:

أولًا: مفهوم المرجعية القيمية ودورها التربوي

المرجعية القيمية هي الإطار الأخلاقي الذي يستند إليه المجتمع في بناء السلوك الفردي والجماعي، وتشمل القيم الدينية، والاجتماعية، والوطنية، والإنسانية.

تُعد هذه المرجعية الأساس في صياغة الأهداف التربوية السامية، مثل: المسؤولية، والاحترام، والأمانة، والانضباط، والتكافل. وقد أظهرت دراسات متعددة أن غياب هذه المرجعية يؤدي إلى تزايد حالات العنف المدرسي، واللامبالاة، والاضطراب النفسي لدى المتعلمين[2].

ثانيًا: مظاهر ضعف المرجعيات القيمية في التربية الحديثة

* التركيز على الجوانب المعرفية فقط دون دمج الجوانب القيمية في المحتوى التعليمي.
* ضعف القدوة التربوية في البيئة التعليمية، سواء من جانب المعلمين أو وسائل الإعلام.
* انفصال المدرسة عن دورها الأخلاقي، وتحولها إلى مؤسسة تعليمية محضة تُقاس فعاليتها بالدرجات فقط.

(١) -علي الشحود ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ،ط٢ ، مكتبة دار البيان ، ٢٠١٥،ص٧٩ .
(٢) د. حسن الشمري، «أثر غياب القيم في مؤسسات التعليم العربي»، مجلة الدراسات التربوية، عدد ٤٧، ص ٩١.

* تأثير التكنولوجيا ووسائل التواصل التي أصبحت تُشكل مرجعية بديلة لدى كثير من الأبناء، بعيدة عن الرقابة التربوية.

ثالثًا: أسباب تراجع المرجعيات القيمية

* العولمة الثقافية التي تروج لقيم جديدة قد تتناقض مع المرجعية الأصلية.
* ضعف التنسيق بين الأسرة والمدرسة في ترسيخ القيم.
* قصور المناهج الدراسية عن تضمين القيم بشكل حي وعملي.
* غياب الاستراتيجيات التربوية القيمية ضمن خطط التعليم الوطنية.

رابعًا: الآثار المترتبة على ضعف المرجعية القيمية

* شيوع السلوكيات السلبية كالكذب، والعنف، والتنمر بين الطلبة.
* ضعف الانضباط الذاتي لدى المتعلمين، مما ينعكس على تحصيلهم الدراسي.
* تآكل الهوية الأخلاقية للمجتمع في ظل شيوع القيم النفعية والفردانية.
* ازدياد المشكلات النفسية والاجتماعية لدى النشء بسبب غياب الإطار القيمي الضابط.

خامسًا: حلول تربوية لتعزيز المرجعية القيمية

* إعادة صياغة المناهج لدمج القيم في كافة المواد التعليمية.
* تمكين المعلم من دوره القيمي عبر برامج إعداد تربوية متخصصة.
* تعزيز العلاقة بين المدرسة والأسرة لبناء جبهة موحدة في غرس القيم.
* استخدام التكنولوجيا والإعلام التربوي لنشر القيم بأساليب عصرية مؤثرة.
* الاستفادة من السنة النبوية كمصدر تربوي عميق في غرس القيم، فقد قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ»، كتاب حسن الخلق، حديث رقم ٨.

المطلب الثالث: تراجع دور القدوة داخل الأسرة

تلعب القدوة دورًا محوريًا في تربية الأبناء، خاصة في المراحل الأولى من النشأة. لكن في كثير من البيوت، تراجع حضور «القدوة العملية»، بسبب ضعف التفاعل بين الآباء وأبنائهم، أو تناقض السلوكيات بين ما يُقال وما يُفعل.

وقد نبهت السنة النبوية إلى أهمية القدوة، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يُربي بالفعل قبل القول، ويُجسّد القيم بسلوكه اليومي.

وفي ضوء هذا التراجع، أصبح الأبناء يبحثون عن قدواتهم في الوجوه الرقمية من مشاهير المنصات، ممن لا يمثلون بالضرورة نموذجًا أخلاقيًا أو تربويًا سليمًا[1].

المطلب الرابع: الغزو الثقافي وقيم العولمة

شهد العالم المعاصر انفجارًا معرفيًا وثورة إعلامية أدّت إلى انفتاح واسع بين الثقافات والحضارات، مما أتاح للعولمة بما تحمله من قيم ومعايير أن تتسلل إلى المجتمعات، فتؤثر في نمط الحياة والتفكير، وتُعيد تشكيل القيم والسلوك. ولم تكن المجتمعات الإسلامية بمنأى عن هذا التأثير، مما استدعى الرجوع إلى مصادر الهداية الأصيلة، وعلى رأسها السنة النبوية، للبحث عن منهجية فعّالة في مقاومة الغزو الفكري والثقافي، وتعزيز القيم الإسلامية في مواجهة تحديات العولمة.

وعلى هذا فان مفهوم الغزو الثقافي وقيم العولمة يمكن توضيحها بما يلي:

١- تعريف الغزو الثقافي

الغزو الثقافي هو: محاولة التأثير على ثقافة أمة ما، أو تغيير نمط حياتها وتفكيرها وقيمها ومبادئها، من خلال وسائل غير عسكرية، أبرزها الإعلام والتعليم والفن والتقنيات الحديثة[2].

٢- قيم العولمة

العولمة ليست مجرد نظام اقتصادي، بل تحمل قيم قيمًا فكرية وسلوكية، منها:

النسبية الأخلاقية: تمييع القيم، والتشكيك في المعايير الثابتة.

النفعية والمادية: تغليب المصلحة الفردية والمكاسب المادية على المبادئ.

النزعة الفردية: تفكيك الأسرة والمجتمع لصالح الفرد.

(١) عبد الرحمن النحلاوي ، التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة ، ط٥ ، دار الفكر ، ٢٠٠٦ ، ص١٤٣

(٢) ينظر: محمد عمارة، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، دار الشروق، القاهرة، ص: ١٢.

٣- آثار الغزو والعولمة على المجتمعات الإسلامية

* تراجع المرجعيات الدينية.
* اختراق الهوية الثقافية.
* استبدال القيم الإسلامية بقيم مستوردة.

منهج النبي ﷺ في مواجهة الغزو القيمي والفكري

١. ترسيخ العقيدة والهوية :

قال النبي ﷺ: تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ ...[١]، وفيه تأكيد على ضرورة الاعتصام بالمصادر الأصلية للثبات أمام المتغيرات.

٢. التحذير من التقليد الأعمى

قال ﷺ: « لتتبعن سنن من كان قبلكم...»[٢]، وهو تحذير من الغزو الثقافي الناتج عن الإعجاب الأعمى بالغرب أو غيره.

٣. الدعوة إلى التوازن والوسطية

قال ﷺ: « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»[٣]، وهو مبدأ يمنع الإفراط والتفريط، ويُبقي الهوية مستقلة متزنة.

٤. بناء الوعي النقدي

قال ﷺ: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع»[٤]، وهو تحذير من الانجراف وراء المعلومات دون تمحيص

آليات نبوية لمواجهة العولمة السلبية

١. التربية القيمية

قال ﷺ: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٥]، مما يدل على مركزية الأخلاق في مقاومة التيارات الثقافية

(١) رواه مسلم (١٢١٨).
(٢) رواه البخاري (٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩).
(٣) رواه أحمد في المسند (٢١٩٢٤).
(٤) رواه مسلم (٥).
(٥) رواه مالك في الموطأ (ح/٨).

الدخيلة.

٢. الوحدة والتكافل

قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى.»(١)، مما يدعو إلى تعزيز الروابط الاجتماعية كجدار صد أمام الفردانية.

٣. حماية الأسرة

قال ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» (٢)، وهو تحذير من الانفلات الأخلاقي المبرر تحت شعارات الحرية.

المبحث الثاني: معالم التربية النبوية للأبناء

تميّز المنهج النبوي في التربية بأنه شامل، متوازن، ومراعٍ للفطرة، وقد ترك لنا النبي صلى الله عليه وسلم نموذجًا تطبيقيًا فريدًا في تربية الأبناء، سواء عبر أقواله، أو أفعاله، أو تعامله المباشر مع الأطفال والناشئة.

ولأن السنة النبوية ليست مجرد توجيهات نظرية، بل ممارسة واقعية، فإنها تمثل اليوم مرجعًا تربويًا حيًا، يمكن استعادته لتشكيل منهجية ناجحة في مواجهة الانهيارات القيمية التي يُعاني منها الجيل الرقمي.

المطلب الأول: الرحمة واللين في تربية النبي محمد صلى الله عليه وسلم

تُعد الرحمة من أبرز السمات التربوية في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تجلّت بشكل واضح في تعامله مع الصغار، إذ لم يكن يأنف من تقبيلهم، أو حملهم، أو الحديث معهم بلطف، بل كان يُشعرهم بعظيم مكانتهم ويزرع فيهم الثقة والطمأنينة. ومن صور ذلك ما رواه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه قال: ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَبَّلَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فقال الأقرع: «إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا»، فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم: «من لا يَرحم لا يُرحم(٣).

ويُفهم من هذا التوجيه النبوي أن التربية القائمة على الحنان والعاطفة ليست ضعفًا، بل هي مظهر من مظاهر القوة التربوية النبوية، وهي وسيلة لتشكيل وجدان الطفل وصناعة شخصيته المتوازنة نفسيًا وعاطفيًا. لقد كان صلى الله عليه وسلم يُنصت للصغار، ويُلاطفهم، ويُشعرهم بقيمتهم، حتى في حضرة

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦).
(٢) رواه البخاري (٥٠٩٦).
(٣) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان، رقم: ٢٣١٨.

الكبار، مما يؤسس لنموذج تربوي رحيم يقوم على المحبة والاحترام المتبادل.

وفي المقابل، فإن ما يفعله بعض الناس من الغِلظة في التعامل مع الأطفال، كمن يمنعهم من الجلوس معه أو يزجرهم إذا طلبوا حاجتهم، يُعد مخالفًا للهدي النبوي، ويُضعف الأثر التربوي المطلوب. كما أن حرمان الأبناء من مظاهر الحنان، بدعوى الرجولة أو التربية الصارمة، قد يؤدي إلى جفاف عاطفي

المطلب الثاني: التوجيه بالقصة والموقف

من أبرز أدوات النبي التربوية استخدام القصص والمواقف الحية لترسيخ القيم لدى الأبناء، حيث يدرك الطفل المغزى من خلال حبكة القصة أو وقع الموقف.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الناس كإبل مائة، لا تكاد تجد فيها راحلة»(١)، فهذه الصورة المجازية تُرسّخ فكرة ندرة القدوة الصالحة.

وكان النبي يُعلّم الأطفال من خلال الأحداث اليومية، كما في موقفه مع الحسن والحسين حين رآهما يأكلان التمر من تمر الصدقة، فقال: «كخ كخ، أما علمتما أنَّا لا نأكل الصدقة؟» (٢).

هذا التوجيه جاء بطريقة مؤدبة، وعبر موقف عملي راسخ في الذاكرة.

المطلب الثالث: القدوة العملية في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بشيء ويخالفه، بل كان قدوة عملية في كل ما يوصي به، حتى مع الأطفال.

فكان يرد السلام عليهم، ويمازحهم، ويحترم مشاعرهم، ويجالسهم، كما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي: أُفٍّ قط، ولا قال لشيء فعلته: لِمَ فعلتَ كذا؟(٣).

وهذا الصبر والحلم ناتج عن فهم عميق لنفسية الطفل، ولطبيعة الخطأ والنمو، وهو ما تفتقده كثير من طرق التربية الحديثة التي تميل إما للقسوة أو للتسيب.

المطلب الرابع: بناء الشخصية والاستقلالية

اهتم النبي صلى الله عليه وسلم ببناء شخصية الطفل، ومنحه الثقة والمهام بحسب قدراته. فقد كان يُولي بعض الصغار مسؤوليات، كحمل الرسائل، أو تعليم غيرهم، أو إمامة الصلاة.

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا، رقم: ٦١٣٣.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على النبي وأهل بيته، رقم: ١٠٦٩.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما كان النبي يقول لمن يعاتبه: «ما له تَرِبَتْ يمينه؟»، رقم: ٦٠٣٨.

فعن عمرو بن سلمة رضي الله عنه أنه قال: قال لي أبي: «جئتكم من عند النبي صلى الله عليه وسلم حقًا، فقال: إذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآنًا»، قال: «فنظروا فلم يكن أحد أكثر مني قرآنًا، فقدموني وأنا ابن ست أو سبع سنين[1].

هذا يدل على أن النبي كان يُربّي الأبناء على الثقة بالنفس، وتحمل المسؤولية، والمشاركة المجتمعية، وهي من أبرز المهارات المطلوبة اليوم في تربية الأبناء لمواجهة تحديات العصر.

المبحث الثالث: استثمار المنهج النبوي في مواجهة تحديات العصر

في ظل التغيرات المتسارعة التي تشهدها المجتمعات، تبرز الحاجة إلى نماذج تربوية قادرة على الجمع بين الثوابت والقابلية للتطبيق الواقعي. ويُمثّل المنهج النبوي أحد أقوى النماذج التربوية القادرة على مواجهة التحديات المعاصرة إذا ما أُعيد تفعيله بصورة تتفاعل مع السياقات الحديثة.

هذا المبحث يحاول تقديم نموذج عملي تربوي مستلهم من السنة النبوية، ومُصمم ليواجه أبرز التحديات التي تم تناولها في المبحث الأول.

المطلب الأول: إعادة تقديم القيم الإسلامية بلغة العصر

من الخطأ تصور أن القيم النبوية لا تتناسب مع الجيل الرقمي، فالمشكلة ليست في المحتوى، بل في الطريقة التي تُقدَّم بها القيم.

تُعلّمنا السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُقدّم القيم بأسلوب يفهمه المخاطب، دون تعقيد، وبما يُناسب الزمان والمقام. فحين جاءه الأعرابي يسأله: «يا رسول الله، متى الساعة؟»، لم يُجبه مباشرة، بل قال له: «وماذا أعددتَ لها؟[2]»، فحوّل السؤال من فضول إلى مسؤولية.

المربون اليوم بحاجة إلى أن يُعيدوا عرض القيم الدينية بلغة تُخاطب العقل الرقمي، عبر الأمثلة القريبة، والوسائط الحديثة، ومنصات التواصل، دون أن يتخلوا عن روح النص النبوي.

المطلب الثاني: تفعيل الحوار الأسري النبوي

من أسس التربية النبوية «الحوار» لا «الأوامر»، وهو ما يؤكد عليه كثير من علماء النفس والتربية.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحاور الأطفال والمراهقين، ويستمع إليهم، ويُناقشهم، كما في موقفه

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة، رقم: ٥٨٥.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم: ٦٤٧٥.

مع الشاب الذي جاءه يستأذنه في الزنا، فلم ينهره، بل فتح له حوارًا عقلانيًا وعاطفيًا، حتى قال الشاب في النهاية: «فما كان بعد ذلك أبغض إليّ منه.

نص الحديث: فعن ابي امامة رضي الله عنه: أن غلامًا شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله أتأذن لي في الزنا ؟ فصاح الناس به , فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربوه , ادن فدنا حتى جلس بين يديه , فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أتحبه لأمك فقال : لا , جعلني الله فداك , قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم , أتحبه لابنتك ؟ قال : لا ، جعلني الله فداك قال : كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم , أتحبه لأختك ؟ وزاد ابن عوفٍ حتى ذكر العمة والخالة , وهو يقول في كل واحدٍ لا , جعلني الله فداك , وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه , وقالا جميعًا في حديثهما – أعني ابن عوفٍ والراوي الآخر – : فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء أبغض إليه منه [1].

هذا النموذج يُعدّ أداة قوية في التربية الحديثة، ويحتاج الأب والمربي إلى تبنيه في زمن سادت فيه لغة الشاشة والانعزال.

المطلب الثالث: القدوة في زمن مشاهير الشاشات

في عالم تسيطر فيه القدوات الرقمية على خيال الأبناء، لا بد من تعزيز النموذج النبوي كقدوة عُليا من خلال ربط الأبناء بشخصية النبي، ليس فقط من حيث السيرة، بل من حيث المشاعر، والمعاني الإنسانية، والبطولات الأخلاقية. حيث قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

ويمكن تحقيق ذلك من خلال:

برامج تفاعلية على وسائل التواصل تبرز مواقف نبوية عملية:

١. سلسلة «موقف نبوي» (قصص قصيرة بالفيديو)

تنشر عبر منصات مثل Instagram وTikTok وYouTube Shorts.

حيث يكون عبارة عن مقاطع لا تتجاوز الدقيقة الواحدة، تسرد مواقف نبوية مؤثرة، مثل تعامل النبي ﷺ مع الأعرابي، أو مع الطفل، أو مع امرأة ...الخ.

وتعرض بأسلوب تمثيلي أو رسوم متحركة بسيطة لتساعد على غرس القيم بأسلوب سريع وجذاب

(١) رواه أحمد في المسند، رقم: ٢٢٢٦٥، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٧٠.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

يتماشى مع الدعاية والاعلام الرقمي.

٢. تحديات تفاعلية مثل: « قل لي ماذا كنت ستفعل؟ «

يتم عرض موقف نبوي حقيقي، ثم يطلب من المتابعين التفاعل

٣. بودكاست شبابي ممكن ان يكون بعنوان «من وحي السنة» مثلا او ما شابهه من عناوين.

ويكون البودكاستات قصيرة (٥-١٠ دقائق) تبث على منصات مثل Spotify وYouTube و Apple Podcasts . لتقدم كل حلقة موقفًا نبويًا عمليًا مع تحليل تطبيقي له في الواقع الحالي (مثال: كيف نتعامل مع التنمر – قصة أنس بن مالك وخدمة النبي ﷺ ....الخ من المواضيع التي تمس واقع وتحديات التربية).

٤. سلسلة « قيم نبوية في دقيقة «.

فيديوهات رسوم متحركة قصيرة (Motion Graphics) لكل قيمة.

مثل: « الرحمة – الصدق – العدل ...الخ من القيم النبوية. و تنشر على Instagram وFacebook و YouTube وغيرها من منصات التواصل الاجتماعي والرقمي مع ارفاقها بوسم موحد (هاقتد_بالنبي).

٥. Quiz تفاعلي: «من سيربح القدوة؟» مثلا.

تنشر على Instagram Stories أو Telegram bots. وغيرها من منصات التواصل الاجتماعي والرقمي، كل يوم يطرح سؤال عن موقف نبوي، والخيارات متعددة، وبعد الإجابة تعرض القصة والشرح الأخلاقي.

٦. ورش عمل أسرية عبر Zoom أو Instagram Live من منصات التواصل الاجتماعي والرقمي.

يقدمها مختصون في التربية أو الدعوة بعنوان: «كيف نحيي المواقف النبوية في بيوتنا؟»

تدمج بين شرح القصص النبوية وتطبيقاتها في الواقع التربوي.

المطلب الرابع: أدوات عملية للأسرة من المنهج النبوي

بعض الوسائل العملية التي يمكن للأسرة تبنيها:

١. التحفيز بدل العقاب: كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل حين يقول: «نِعْمَ الغُلام عبد الله، لو كان يقوم من الليل[١].

٢. التكليف التدريجي بالمسؤولية: كما في تكليف معاذ بن جبل وعلي رضي الله عنهما في سن مبكرة.

(١) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى، رقم: ١١٢١.

٣. الاحتواء العاطفي اليومي: كقول النبي للحسن: «اللهم إني أُحبّه، فأحبّه[١].

٤. التركيز على الحوار بدل التلقين: كما في حديث: «يا غلام، سَمِّ الله، وكل بيمينك[٢].

ومما تقدم نرى ان المنهج النبوي يمتلك قدرة استثنائية على التفاعل مع التحديات التربوية الحديثة، شرط أن يُفعّل بصورة حكيمة، تجمع بين فقه النص، وفهم الواقع، واستخدام أدوات العصر.

لذا فإن السنة النبوية ليست مجرد مرجعية تاريخية، بل مشروع تربوي قابل للتطبيق والتجديد، متى ما وُضع في سياق يتفاعل بصدق مع حاجات الجيل وأسئلته.

خاتمة البحث

بعد هذه الرحلة في ثنايا السنة النبوية وما تحمله من كنوز تربوية، يتبين أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن فقط مُعلِّمًا ومبلغًا، بل كان مربيًا فذًا، استطاع أن يصوغ جيلاً ربانيًا متماسكًا، رغم بساطة الوسائل وصعوبة الواقع.

وقد بيّن البحث أن التربية النبوية للأبناء تقوم على أسس الرحمة، والقدوة، والحوار، والتدرج، والتحفيز، وأنها تُشكّل إطارًا متكاملاً يمكن الاستفادة منه لمواجهة التحديات التربوية المعاصرة التي فُرضت على الأسرة في ظل العالم الرقمي.

إن هذه الدراسة تدعو إلى استعادة المنهج النبوي بوصفه نموذجًا عمليًا متجددًا، وليس فقط تراثًا روحيًا، إذ أثبت قدرته على احتواء التغيرات، شريطة حسن الفهم والتفعيل.

أبرز نتائج البحث

١. السنة النبوية تُقدّم تصورًا متوازنًا للتربية، يجمع بين الحزم والرحمة، النظرية والتطبيق، الفرد والمجتمع.

٢. التحديات التربوية المعاصرة (الرقمنة، ضعف القدوة، غياب المرجعية) لا يمكن معالجتها بمعزل عن منظومة القيم النبوية.

٣. القدوة النبوية تظل من أنجح الوسائل في التأثير التربوي، وهي أكثر حاجة اليوم في ظل ضياع النموذج الصالح.

٤. التربية بالحوار والموقف، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، تُعدّ من أنجح الأساليب للتعامل مع الجيل الرقمي.

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم: ٥٩٩٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، رقم: ٥٣٧٦.

٥. يمكن تفعيل المنهج النبوي اليوم من خلال أدوات العصر (منصات التواصل، القصص الرقمية، التطبيقات التربوية).

التوصيات

١. دعم البرامج الأسرية التربوية المستلهمة من السنة النبوية، وتكييفها لتتناسب مع احتياجات الأبناء الرقمية.

٢. إدخال التربية النبوية في المناهج التربوية والتدريبية الموجهة للآباء والمربين والمعلمين.

٣. إنتاج محتوى رقمي تفاعلي للأطفال والمراهقين يُبرز القيم النبوية بلغة معاصرة.

٤. عقد ورش ودورات تدريبية حول فنون التربية النبوية وطرق استثمارها في مواجهة تحديات الإعلام الجديد.

٥. تشجيع البحث العلمي في مجالات التربية النبوية التطبيقية، وربطها بعلم النفس التربوي الحديث.

قائمة المراجع

١. القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم

٢. كتب السنة: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود.

٣. . تقرير مؤسسة Common Sense Media، ٢٠٢٢م.

٤. أحمد محمد جابر، «التكنولوجيا وتغير السلوك الاجتماعي لدى الأطفال»، مجلة التربية المعاصرة، العدد ٦٥، ص ٨٨.

٥. علي الشحود ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ،ط٢ ، مكتبة دار البيان ، ٢٠١٥،ص٧٩ .

٦. د. حسن الشمري، «أثر غياب القيم في مؤسسات التعليم العربي»، مجلة الدراسات التربوية، عدد ٤٧، ص ٩١.

٧. الإمام مالك في كتاب «الموطأ»، كتاب حسن الخلق، حديث رقم ٨.

٨. عبد الرحمن النحلاوي ، التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة ، ط٥ ، دار الفكر ، ٢٠٠٦ ، ص١٤٣.

٩. محمد عمارة، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، دار الشروق، القاهرة، ص: ١٢.

١٠. أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م

References list

1. The Holy Quran, narrated by Hafs from Asim

2. The books of the Sunnah: Sahih al-Bukhari, Sahih Muslim, Sunan Abu Dawood.

3. Institution Report Common Sense Media 2022.

4. Ahmad Mohamed Jaber, "Technology and Social Behavior Change Among Children," Contemporary Education Journal, edition no.65, P.88.

5. Ali Al-Shahoud, Fundamentals of Islamic Education and Its Methods, 2nd edition, Dar Al-Bayan Library, 2015, P79.

6. Dr. Hassan Al-Shammari, "The Impact of the Absence of Values in Arab Educational Institutions", Journal of Educational Studies, Issue 47,P91.

7. Imam Malik in the book "Al-Muwatta", Book of Good Character, Hadith No.8.

8. Abdur Rahman Al-Nahlawi, Islamic Education and Its Methods at Home and School, 5th Edition, Dar Al-Fikr, 2006, P143.

9. Mohamed Amara, Cultural Invasion Extends in Our Vacuum, Dar Al-Shorouk, Cairo, P12.

10. Ahmad ibn Hanbal, Al-Musnad, edited by Shuaib Al-Arnaout, Al-Risalah Foundation, Beirut, 1999.